

رتب الحفاظ عند الحديث

للكوثر

عبد الله بن الصديق

أما الحاكم ، فلا علاقة له بالحفظ ولا التعديل .
وانما هو لقب عائلي لبعض الحفاظ والمحدثين .

منهم : أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن
اسحق النيسابوري الكرابيسي الحافظ ، صاحب
كتاب الكنى وغيره من المؤلفات توفي سنة 378 قال
الذهبي : وهذا هو الحاكم الكبير .

ومنهم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن
محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري
الحافظ . صاحب كتاب المستدرک وغيره ، يعرف
بابن البيع ، توفي سنة 405 ، وهو تلميذ الحاكم
الكبير .

ومنهم : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن
أحمد بن محمد بن حسان القرشي العامري
النيسابوري الحنفي الحافظ ، يعرف بابن الحذاء ،
وبالحسكاني أخذ عن الحاكم صاحب المستدرک ،
وتوفي بعد سبعين وأربعمائة .

ومنهم : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد
ابن الحسن الاسترأبادي المحدث حدث سنة 432 .

نقل المناوي في أوائل شرح الشمائل ، عن
المطرزي قال : لأهل الحديث مراتب :

أولها الطالب ، وهو المبتدى . ثم المحدث ، وهو
من تحمل روايته ، واعتنى بدرأيته ، ثم الحافظ ، وهو
من حفظ مائة ألف حديث مقنا واسنادا . ثم الحجة ،
وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديث . ثم الحاكم ،
وهو من أحاط بجميع الأحاديث المروية اه .

وأهل الحديث ، لا يعرفون هذه المراتب ، ولا
يعترفون بها ، لأنها تخالف ما اصطالحوا عليه .

فالتألم ، هو المبتدىء في كل علم ، وليس
خاصا بأهل الحديث . وفي حديث رواه الطبراني
بإسناد ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منهومان
لا يشبع طلبهما طالب علم ، وطالب الدنيا » .

والحجة ، من مراتب التعديل ، لا الحفظ .
وهي فوق الثقة ، كما نص عليه الحافظ الذهبي في
تذكرة الحفاظ ، وستأتي عبارته بحول الله .

من المفيد ، في العرف ، كما أن الحجة ، فوق
الثقة اه .

ومن لقب بالمفيد ، سوى أبى بكر المذكور :

أبو بكر وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن
يعقوب الرقى المؤرخ . روى عن الطبراني وغيره ،
توفي سنة 382 ، اتهمه الخطيب بوضع حديث ، في
فضل أهل الحديث .

قلت لفظ الحديث المشار اليه : إذا كان يوم
القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله
جبريل أن يأتيهم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : من
أنتم ؟ فيقولون : نحن أصحاب الحديث ، فيقول الله
عز وجل : ادخلوا الجنة على ما كان منكم ، طالما
كنتم تصلون على النبي في دار الدنيا .

رواه الخطيب في التاريخ من طريق محمد بن
يوسف الرقى حدثنا الطبراني ثنا الديلمي
الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس رفعه به .

ورواه أبو المحاسن الروياني في فوائده عن عبد
الله بن جعفر الجبائري عن محمد بن يوسف الرقى
به ، لكن قال : عن معمر عن قتادة عن أنس .

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق
الخطيب ، وقال : الحمل فيه على الرقى ، وقال
الذهبي : وضع على الطبراني هذا الحديث .

ورواه الديلمي في مسند الفردوس ، والنميري
في الاعلام من طريق آخر ، فيه محمد بن أحمد بن
مالك الاسكندراني ، وهو مجهول . واقتصر الحافظ
السخاوي في القول بالبديع ، على تضعيفه من
الطريقين . وهو تساهل منه ، رحمه الله ، فالحديث
موضوع ، كما قال الخطيب وابن الجوزي والذهبي .

ومما يؤكد وضعه : نكارة معناه ، وروايته من
طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس .

ومن لقب بالمفيد : أبو سليمان حمد بن محمد
ابن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب
معالم السنن وغيره من المصنفات ، وهو أحد شيوخ
الحاكم ، صاحب المستدرک ، توفي سنة 388 ببلده
بست ، في أفغانستان .

ترجم له التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ،
ولم يذكر تاريخ وفاته .

والعجيب أن المتأخرين ، تماثلوا على نقل كلام
المطرزي ، تقليدا بدون تمحيص . والواقع : أن
مراتب الحفاظ عند أهل الحديث ، على الوجه
الآتي : مسند ، ثم محدث ، ثم مفيد ثم حافظ ، ثم
أمير المؤمنين في الحديث . فالمسند — بكسر النون —
من يعنى بالاسناد من حيث اتصاله ، أو انقطاعه
أو تسلسله بصفة معينة ، وإن لم يكن له خبرة
بالمتون .

وكان شيخنا العلامة المرحوم السيد أحمد رافع
الحسيني الطهطاوي الحنفي ، مسند هذا العصر بدون
منازع ، له كتاب « المسعى الحميد الى بيان وتحرير
الاسانيد » حرر الكلام فيه على الاسانيد الموجودة في
نحو اربعمائة ثبت . ونبه على أوهام كثيرة ، وقعت
في كتاب فهرس الفهارس ، وكان لا يعرف في المتون
كثيرا ولا قليلا .

والمحدث : من سمع الكتب الستة والموطأ وسنن
الدارمي والدارقطني والبيهقي ، ومستدرک الحاكم
ومسند أحمد ، وسمع الى جانب هذه الكتب ، ألف
جزء حديثي ، وحفظ جملة مستكررة من المتون .

ويكفى عن الحفاظ في هذا الوقت أن يراجع
الجامع الصغير مرات ، حتى تعلق أحاديثه بذهنه ،
بحيث يستحضر حديثا منها ، إذا احتاج اليه .
ويشتمل الجامع الصغير على نحو عشرة آلاف حديث ،
فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع .

فمن أحاط بها ، واستحضر معانيها ، وعرف
مطانيها ، مع بقية الشروط السابقة ، كان محدثا .

والمفيد ، رتبة استحدثت في القرن الثالث
الهجري .

قال الحافظ الخطيب : حدثني محمد بن عبد الله
عن أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب ،
قال : موسى بن هرون ، سماني المفيد .

قال الذهبي : فهذه العبارة ، أول ما استعملت
لقبا ، في هذا الوقت ، قبل الثلاثمائة . والحافظ أعلى

وهذه امثلة عن ذلك :

قال يعقوب الدورقي : كان عند هشيم
عشرون الف حديث .

وقال يحيى بن معين : كانت كتب ابن المبارك
التي حدث بها نحو عشرين الف حديث .

وقال يزيد بن هرون : احفظ أربعة وعشرين
الف حديث بالاسناد ، ولا فخر ، واحفظ للشاميين
عشرين الفا ، لا اسأل عنها .

وقال ايضا : سمعت حديث الفتون ، مرة
واحدة فحفظته . واحفظ عشرين الفا ، فمن شاء
فليدخل فيها حرفا .

وحديث الفتون طويل ، يقع في نحو كراسة .

رواه النسائي في السنن الكبرى وابن ابي حاتم
والطبري في تفسيريهما ، وابو يعلى في معجمه كلهم
من طريق يزيد بن هرون عن اصبع بن زيد عن
القاسم بن ابي ايوب عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس به .

قال ابن كثير : وهو موقوف من كلام ابن عباس
وليس فيه مرفوع الا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن
عباس ، مما ابيع له نقله من الاسرائيليات عن كعب
الاحبار او غيره .

وسمعت شيخنا الحافظ ابا الحجاج المزى ،
يقول ذلك اه .

وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد — بعد
ان عزاه لابى يعلى — : رجاله رجال الصحيح غير
اصبع بن زيد والقاسم بن ابي ايوب ، وهما ثقتان اه .

قلت : وقع في ترجمة اصبع من الميزان : راوى
حديث الفتون ، وكذلك وقع في ترجمة القاسم ، من
تهذيب التهذيب ، وهو تصحيف .

وقال داود بن عمرو الضبي : كان اسمعيل
ابن عياش يحدثنا من حفظه ، ما رايت معه كتابا
قط . فقال له عبد الله بن احمد بن حنبل : اكان
يحفظ عشرة آلاف حديث ؟ قال : وعشرة آلاف ،
وعشرة آلاف . فقال له ابي احمد : هذا مثل وكيع .

وابو سعيد محمد بن على بن محمد النيسابورى
الخشاب المتوفى سنة 456 ، وابو منصور عبدالحسن
ابن محمد بن على الشيعى السفار المتوفى سنة 489 ،
وابو الفرج عبد الخالق بن احمد بن عبد القادر بن
محمد بن يوسف اليوسفى البغدادي المتوفى سنة
548 .

وابو على صدر الدين الحسن بن محمد بن
محمد بن محمد التيمى البكرى الصوفى المتوفى سنة
656 .

وشمس الدين على بن المظفر بن القاسم
الزيمى الدمشقى المتوفى سنة 656 .

ثم المفيد من جمع شروط المحدث ، وتأهل لان يفيد
الطلبة الذين يحضرون مجالس املاء الحافظ ، فيبلغهم
ما لم يسمعه ، ويفهمهم ما لم يفهموه ، وذلك بأن يعرف
العالى والنازل ، والبذل والمصافحة والموافقة ،
مع مشاركة في معرفة العلل ، والاصل فيه ما رواه
ابو داود والنسائي عن رافع بن عمرو قال : رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس
بنى حين ارتفع الضحى ، على بغلة شهباء ، وعلى
يعبر عنه .

وفي الصحيح عن ابي جمرة قال : كنت اترجم
بين ابن عباس وبين الناس .

والحافظ ، اختلف في تعريفه ، بين مشدد ومخفف .

واعدل التعريفات فيه ، انه من جمع ثلاثة
شروط :

1 — حفظ المتون ، ولا يقل محفوظه عن
عشرين الف حديث .

2 — حفظ اسانيدھا ، وتمييز صحيحها من
سقيمها .

3 — معرفة طبقات الرواة واحوالهم ، طبقة
بعد طبقة ، بحيث يكون من يعرفه اقل ممن لا يعرفه ،
حتى اذا قال في راو : لا اعرفه ، اعتبر ذلك الراوى
من الجهولين .

ويتفاوت الحفاظ ، بتفاوت كثرة محفوظاتهم
قلتها .

ثم الحافظ نوعان :

1 - حافظ على طريقة الفقهاء ، كالحاوي والبيهقي والبايجي وابن العربي المعافري والقاضي عياض والنووي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير .

2 - حافظ على طريقة المحدثين ، وهم معظم الحفاظ .

والحافظ على طريقة المحدثين ، أكثر حفظا ، وأوسع رواية ، وأعرف بأحوال الرجال وطبقاتهم ، وأدرى بقواعد التصحيح والتضعيف ، ولتمكنه في معرفة العلل ، وغرائب الأحاديث .

وامير المؤمنين في الحديث ، هي الرتبة العليا في الحفاظ ، لا رتبة فوقها . واستحدثت هذه الرتبة في المائة الثانية للهجرة .

قال الحافظ السيوطي في التدريب : كأن هذا اللقب مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارحم خلفائي » قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثي وسنتي » رواه الطبراني وغيره . قلت : هذا الحديث رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل ، والطبراني في المعجم الاوسط ، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ، كلهم من طريق أحمد بن عيسى العلوي أخبرنا ابن أبي فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس قال : سمعت على بن أبي طالب يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم ارحم خلفائي » قلنا : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : « للذين يأتون من بعدى يروون أحاديثي ويعلمونها الناس » أحمد بن عيسى الهاشمي العلوي ، نقل الذهبى في ترجمته من الميزان عن الدارقطني ، أنه قال فيه : كذاب . وحكم الذهبى بطلان هذا الحديث ، بعد أن ساقه بإسناد الرامهرمزي .

وقال الحافظ الزيلعي في نصب الراية : وقد روى الحافظ أبو محمد الرامهرمزي ، في أول كتاب المحدث الفاصل ، حديثا موضوعا لأحمد بن عيسى ، هو المتهم به ، وذكر هذا الحديث .

وقال حرب الكرماني : أملى علينا سعيد بن منصور ، نحو من عشرة آلاف حديث من حفظه .

وقال الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب السنن : حدثت من حفظي بأصبهان ، بستة وثلاثين الفا . الزموني الوهم في سبعة أحاديث منها فلما انصرفت ، وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدثتهم به .

وقال الحافظ أبو حفص بن شاهين : أملى علينا ابن أبي داود ، وما رأيت في يده كتابا قط ، إنما كان يملئ حفظا . وكان يقعد على المنبر ، بعد ما عسى ، ويقعد دونه بدرجة ، ابنه أبو معمر ، بيده كتاب ، فيقول له : حديث كذا فيسرده من حفظه ، حتى يأتى على المجلس .

قرا علينا يوما حديث الفتون ، من حفظه ، فقام أبو تمام الزينبي وقال : لله درك ! ما رأيت أحفظ منك ، إلا أن يكون إبراهيم الحري . فقال : كل ما يحفظه إبراهيم ، فأنا أحفظه . وأنا أعرف بالنجوم ، وما كان يعرفها .

وقال النجاري : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح .

وسأل رجل أبا زرعة الرازي : أنه حلف بالطلاق : أنك تحفظ مائة ألف حديث ؟ فقال : تمسك بإمراك .

وقال أبو زرعة أيضا : أحفظ القراءات ، عشرة آلاف حديث .

وقال الحافظ أبو العباس ابن عقدة : أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها .

وقال الحافظ أبو بكر بن الجعابي : أحفظ أربعمائة ألف حديث ، وأذاكر بستمائة ألف حديث .

وقال أيضا : دخلت الرقة ، وكان لى ثم قطر من كتب ، فجاء غلامى مغموما وقال : ضاعت الكتب فقلت : يا بني لا تغتم ، فان فيها مائتي ألف حديث ، لا يشكل على حديث منها ، لا أسناده ، ولا متنه .

ورواه الخطيب في شرف اصحاب الحديث من طريق عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن ابي نديك عن هشام بن سعد به .

عبد السلام بن عبيد ، قال ابن حبان : يسرق الحديث ، ويروى الموضوعات . وسرقة الحديث : ان يعتمد الراوى الى حديث معروف من طريق معين . غرويه من طريق آخر .

مثاله : روى الليث ويونس عن الزهرى عن انس حديث « من كذب على متعمدا » الحديث . رواه عبد السلام هذا عن سفيان بن عيينة عن الزهرى ، فحوله من رواية الليث ويونس الى رواية ابن عيينة ، وهذه سرقة .

وروى ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة حديث « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

سرقه عبد السلام فرواه عن ابن عيينة عن الزهرى عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة .

وعبد السلام هذا ، روى عنه ابو عوانة في صحيحه ، كانه لم يعرف حاله ولحديث الخلفاء طريق آخر ، أخرجه الخطيب في شرف اصحاب الحديث ، من طريق ابي الصباح عبد الغفور عن ابي هاشم الرماني عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الا ادلكم على آية الخلفاء منى ومن اصحابى ومن الانبياء قبلى ؟ هم حملة القرآن والاحاديث عنى وعنهم في الله والله عز وجل » .

عبد الغفور ، قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث . وقال ابن عدى : ضعيف مكرر الحديث .

ولا شك ان اهل الحديث ، نواب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في تبليغ احاديثه ، ونشر سنته ، فمهم خلفاؤه .

ولهذا سمي بعضهم ، امير المؤمنين في الحديث .

كما ان الخلفاء الحكام ، سمو امراء المؤمنين لنيابتهم عنه في تنفيذ الاحكام ، واقامة الحدود ، وحماية بيضة الاسلام .

وليس كل عالم ، او فاضل ، او صاحب رأى ، يصلح لخلافة الحكم . بل يشترط فمين يتولى هذا المنصب الخطير ، شروط مفصلة في كتب الفقه الاسلامى . كذلك ليس كل حافظ يستحق لقب امير المؤمنين في الحديث . وانما يستحقه من توفرت فيه الشروط الآتية :

1 - شدة الاتقان والضبط بنوعيه : ضبط صدر ، وضبط كتاب .

2 - التبريز في العلل ، او الرجال .

3 - ان يؤلف كتابا له قيمته العلمية ، كبير الاثر في موضوعه ، او يتخرج به حفاظ مهرة .

ولعزة اجتماع هذه الشروط في شخص ، لم ينل هذا اللقب من الحفاظ على كثرتهم الا نفر قليل منهم ، لا يتجاوز عددهم عشرين نفسا . منهم الامام مالك ابن انس .

قال يحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن معين : مالك امير المؤمنين في الحديث . على انه لم يكن واسع الحفظ ، لانه لم يرحل الى البلدان والاقطار ، كما رحل غيره من الحفاظ . ولم يبارح المدينة المنورة ، الا للحج ، ثم رجع . وبسبب ذلك فاته حديث كثير .

لكنه كان شديد الاتقان ، بالغ التحرى ، مبرزاً في نقد الرجال . قال الترمذى في العلل : سمعت اسحق بن موسى الانصارى قال : سمعت معن بن عيسى يقول : كان مالك بن انس يشدد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الباء والتاء ونحو هذا .

وروى ايضا عن علي بن المدينى قال : قال يحيى ابن سعيد القطان : ما في القوم اصح حديثا من مالك ابن انس ، كان مالك اماما في الحديث . وقال علي ابن المدينى عن سفيان بن عيينة : ما كان اشد انتقاد مالك للرجال ، واعلم بشانهم .

وقال يحيى بن معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة الا عبد الكريم . قلت : عبد الكريم هذا ، هو ابن ابي المخارق - بضم الميم - ابو امية البصرى المعلم .

4 — ان اقوال الامام في الموطا مصحوبة بدليلها من آية أو حديث أو أثر ، والاقوال المنسوبة اليه في المدونة ، عارية عن الدليل .

ولتفصيل هذا البحث موضع غير هذا .

ومنهم امام الحفاظ ، وجبل العلم ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح . قال عنه شيخه على بن المدينى : ما راي مثل نفسه وقال ابن خزيمة : ما تحت اديم السماء اعلم بالحديث من البخارى . كان واسع الحفظ والرواية ، شديد الاتقان ، مبرزا في علم العلل .

قال محمد بن حاتم وراق البخارى : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان البخارى يختلف معنا الى السماع وهو غلام ، فلا يكتب ، حتى اتى على ذلك اياما ، فكنا نقول له . فقال : انكما قد اكثرتما على فاعرضا على ما كتبتما . فأخرجنا اليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر الف حديث . فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم ما كتبنا ، من حفظه ، فعرفنا انه لا يتقدمه احد .

وقال الحافظ أحمد بن نصر الخفاف : محمد بن اسماعيل اعلم في الحديث من أحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه ، بعشرين درجة .

وقال الترمذى : لم أر احدا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد ، اعلم من محمد بن اسماعيل .

وكتابه الجامع الصحيح ، اجل كتب الاسلام ، واصحها بعد القرآن . اجمعت الامة على تلقيه بالقبول ، واجله العلماء الفحول . له عند الحفاظ هبة ، وفي قلوبهم رهبة . ذكر الحافظ الذهبي في الميزان حديثا في الجامع الصحيح ، تكلم في راويه ، وقال : لولا هبة الجامع الصحيح ، لعددته من منكرات خالد .

وقال الحافظ ابو الحسن بن الفضل المالكي شيخ المنذرى : الراوى اذا احتج به الشيخان أو أحدهما ، فقد قفز القنطرة .

على ان مسلما تلميذ البخارى وخريجه ، يعترف بفضلته ، ويفتخر من فيض علمه ، حتى قال

قال ابن عبد البر : لا يختلفون في ضعفه ، غر مالكا منه سمته ، ولم يكن من اهل بلده فيعرفه ولم يخرج عنه حكما ، بل ترغيبا وفضلا اه . وقال الحافظ ابن سيد الناس في شرح الترمذى : لكن لم يخرج عنه مالك الا الثابت من غير طريقه : اذا لم تستحى فاصنع ما شئت ، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة . وقد اعتذر لما تبين له امره ، وقال : غرني بكثرة بكائه في المسجد اه .

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : قلت لابي : من اثبت اصحاب الزهري . قال : مالك اثبت في كل شيء .

وقال ابن حبان : كان مالك اول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة ، واعرض عن ليس بثقة في الحديث . ولم يكن يروى الا ما صح ، ولا يحدث الا عن ثقة اه .

وكتابه الموطا ، من كتب السنة النافعة ، مدحه الامام الشافعى بكمته المعروفة : ما على ظهر الارض بعد كتاب الله ، اكثر صوابا من موطا مالك . واثنى عليه غيره من العلماء ثناء كبيرا ، لا حاجة الى الاطالة بذكره ، لشهرته وانتشاره في شروح الموطا وغيرها من كتب السنة ، ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات ما تقدم عليه الصحيحان ولا غيرها .

ولم يقدره المالكية حق قدره ، حيث قدموا عليه المدونة عند التعارض ، مع ان القواعد الاصولية والحديثية توجب تقديمه لامور :

1 — ان الموطا كتبه الامام بيده ، ونقحه في مدى اربعين سنة ، والمدونة ليست كذلك ، لانه لم يكتبها ولم ينقحها .

2 — ان الموطا ، رواه عن الامام عدة مئات من العلماء ، فهو منقول بالتواتر ، والمدونة ليست كذلك ، بل تفرد بها ابن القاسم .

3 — ان من جملة رواة الموطا اصحاب مالك المدنيين ، وهم الذين لازموه الى وفاته . وابن القاسم الذى بنيت المدونة على رواياته ، فارق مالكا قبل مماته بعشرين سنة . والملازم للشيخ مقدم على المفارق له .

قال الذهبي : واذا شئت أن تبين براعة هذا
الامام الفرد ، فطالع كتاب العلل له ، فانك تندهش
ويطول تعجبك .

ومنهم شعبة ، ومحمد بن اسحق وعبد الله
ابن المبارك ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، واسحق بن
راهويه ، والحافظ ابن حجر ، وهو ختامهم . لم يأت
بعده من نال هذه الرتبة ، وان كان في تلامذته حفاظ ،
كالسخاوي والديمي ، والسيوطي لكنه لم يدركه ،
وانما تتلمذ على كتبه ، وانتفع بها كثيرا . وهو يعتبر
خاتمة الحفاظ ، بالمعنى المصطلح عليه عند اهل
الحديث ، ومن وصف بعده بالحافظ كالسيد مرتضى
الزبيدي شارح الاحياء ، فذلك على سبيل التوسع
في العبارة .

وكان صديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد
زاهد الكوثري الحنفى يصف ابن طولون الحنفى
بالحافظ ، وناقشته في ذلك فقال : ان مروياته كثيرة ،
وهذه مغالطة ، لان كثرة الرويات انما تعتبر في
الحافظ بشرط أن تكون مسموعة له . ومرويات
المتأخرين كابن طولون ، انما هي بالاجازة والغرض
منها بقاء سلسلة الاسناد . والتبرك برجال
السلسلة . كما قال الحافظ السخاوي : انه ليس
الخرقة الصوفية تجاه الكعبة المشرفة تبركا برجالها
الصالحين ، وان كان يعتقد أن سندها منقطع .

ولما كنت ادرس العلم بجامعة القرويين اعاد
الله مجدها ، علمت ان رجلا عاميا يروى بالاجازة
عن أبيه عن جده عن السيد مرتضى ، فذهبت اليه
واستجزته فاجاز لى . مع ان لى رواية عن السيد
مرتضى بواسطة شيوخ كثيرين . منهم بالمغرب
شقيقى ابو الفيض والشيخ عبد الحفيظ الفاسى
والشيخ المكى البطاوى والشيخ فتح الله البنائى
رحمهم الله واكرم مثواهم .

طنجة — عبد الله بن الصديق

الدارقطنى : لولا البخارى لما راح مسلم ولا جاء .
وروى الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابي حامد
احمد بن حمدون قال : سمعت مسلم بن الحجاج ،
وجاء الى البخارى ، فقبل ما بين عينيه ، وقال :
دمنى اقبل رجلك يا استاذ الاستاذين ، وسيد
المحدثين ، وياطيب الحديث فى عله . ثم سألته عن
حديث رواه عنه فى كفارة المجلس ، فأجابه البخارى
عنه ، وبين عله .
وكتابه التاريخ الكبير ، يقول عنه ابو احمد
الحاكم : كتاب لم يسبق اليه ، ومن الف بعده شيئا
من التاريخ او الاسماء او الكنى ، لم يستغن عنه .
فمنهم من نسبته الى نفسه ، ومنهم من حكاه عنه .
قاله يرحمه ، فانه الذى اصل الاصول .
ومنهم الامام الحافظ المتقن ابو الحسن على
ابن عمر الدارقطنى .
قال الحاكم : صار الدارقطنى اوجد عصره فى
الحفظ والفهم والورع ، وامام فى القراء والنحويين .
أقمت ببغداد اربعة أشهر ، وكثر اجتماعنا فصادفته
فوق ما وصف لى ، وسألته عن العلل والشيوخ وله
مؤلفات يطول ذكرها ، فأشهد انه لم يخلف على اديم
الارض مثله .

وقال الخطيب : كان الدارقطنى غريد عصره ،
وقريح دهره ، ونسيج وحده ، وامام وقته . انتهى
اليه علم الاثر ، والمعرفة بعلم الحديث واسماء
الرجال ، واحوال الرواة . مع الصدق والثقة وصحة
الاعتقاد ، وسلامة المذهب .

وقال الحافظ عبد الغنى بن سعيد الازدى :
أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة : على بن المدينى فى وقته ،
وموسى بن هرون فى وقته ، وعلى بن عمر
الدارقطنى فى وقته .

وقال الحافظ البرقانى : كان الدارقطنى يملئ
على العلل من حفظه ، وانا الذى جرعته ، وقراها
الناس من نسختى .